المحور الخامس: دافعية التعلم سيكولوجية الدوافع (العمليات العقلية وعلاقتها بعملية التعلم، الخصائص الفردية للمتعلم (الذكاء، التفكير، المهارات الفردية).

مقدمة:

تُعَدّ **دافعية التعلم** من أهمّ المفاهيم في علم النفس التربوي، إذ تمثل القوة الداخلية التي تُحرّك المتعلم نحو التعلم، وتُوجّه سلوكه، وتُحدّد مدى استمراره في مواجهة الصعوبات، فالمتعلم لا يتعلّم فقط بوجود المنبهات أو المعلومات، بل يحتاج إلى دافع نفسي يُثير اهتمامه ويمنحه الرغبة في الإنجاز وتحقيق الذات، وتُعرف **سيكولوجية الدوافع** بأنها العلم الذي يدرس أسباب السلوك الإنساني ومصادره الداخلية، وكيف تؤثر الحاجات والرغبات والميول في توجيه الأفعال نحو أهداف معينة.

إنّ فهم دافعية التعلم من المنظور السيكولوجي يساعد المعلم على اختيار الأساليب والطرائق التي تُنَمّي رغبة المتعلم في المعرفة، وتُحفّزه على المشاركة النشطة داخل الموقف التعليمي، ومن هنا، تبرز أهمية دراسة العلاقة بين الدوافع النفسية وعمليات التعلم، بوصفها أساسًا لفهم السلوك التعليمي وتطوير الممارسات التربوية الحديثة.

أولا: العمليات العقلية وعلاقتها بعملية التعلم:

1. ما المقصود بالعمليات العقلية؟

العمليات العقلية هي الأنشطة الذهنية التي يقوم بها الدماغ أثناء استقبال المعلومات ومعالجتها وتخزينها واستخدامها، أي أنّها **العمليات الداخلية غير المرئية** التي تساعد الإنسان على الفهم والتفكير والتذكر وحل المشكلات، وتُعَدّ هذه العمليات الأساس الذي يقوم عليه **التعلّم**، لأن التعلم لا يحدث بمجرد السمع أو النظر، بل من خلال تشغيل العقل في الفهم والتحليل والربط.

2. أهم العمليات العقلية:

أ/ الانتباه(Attention) :

- هو تركيز الذهن على مثير أو موضوع معين.
- مثال: عندما يشرح المعلم درسًا في الفصل، والانتباه منصبّ على كلامه دون الالتفات إلى المؤثرات خارج القسم، فذلك يعني أن المتعلم يُفعّل عملية الانتباه.
- **أهميته:** من دون انتباه لا يمكن استقبال المعلومات أو معالجتها، وبالتالي لا يحدث التعلم.

ب/ الإدراك(Perception) :

- هو تفسير المثيرات الحسية وربطها بالمعاني المخزّنة في العقل.
- مثال: حين يرى الطالب خريطة العالم ويدرك أن الألوان تمثل حدود الدول والمناخات المختلفة، فهذا إدراك وليس مجرد رؤية.
- **أهميته:** يساعد على فهم العالم الخارجي وتحويل الإحساس إلى معرفة.

ج/ التذكر(Memory) :

- هو الاحتفاظ بالمعلومات واسترجاعها عند الحاجة.
- مثال: عندما يتذكر الطالب قوانين الرياضيات لحل مسألة في الامتحان.
- **أنواعه:**
  - ذاكرة قصيرة المدى: تحفظ المعلومات لفترة قصيرة (مثل رقم يُقال مرة واحدة).
  - ذاكرة طويلة المدى: تحفظ المعلومات لفترات طويلة (مثل قواعد اللغة التي نتعلمها منذ الصغر).

د/ التفكير(Thinking) :

- هو استخدام المعلومات القديمة لتكوين أفكار جديدة، أو لحل المشكلات، أو لاتخاذ القرار.
- مثال: عندما يحاول الطالب تفسير سبب ظاهرة بيئية بالاعتماد على ما تعلمه في الجغرافيا.
- **أنواعه:** التفكير التحليلي، الإبداعي، النقدي... إلخ.
- **أهميته:** التفكير يجعل التعلم عملية نشطة وليست مجرد حفظ للمعلومات.

هـ/ الفهم(Comprehension) :

- هو إدراك المعنى الحقيقي للشيء بعد التفكير فيه.
- مثال: أن يعرف الطالب الفرق بين "الحرية" كمفهوم سياسي وكمفهوم أخلاقي.
- **أهميته:** الفهم هو الهدف النهائي من التعلم، إذ يمكن الطالب من تطبيق ما تعلمه في مواقف جديدة.

و/ حل المشكلات(Problem Solving) :

- هو استخدام الخبرات السابقة لإيجاد حلول لمواقف جديدة.

- مثال: الطالب الذي يواجه تمرينًا صعبًا في قواعد اللغة فيبحث عن طريقة جديدة للحل.
- **أهميته:** تُظهر هذه العملية نضج التفكير وفعالية التعلم الحقيقي.

3. العلاقة بين العمليات العقلية والتعلم:

التعلم هو **نتيجة تفاعل هذه العمليات العقلية مع الخبرات الجديدة**؛ فالمتعلم يوجّه انتباهه، ويدرك ما حوله، ويخزّن المعلومات في ذاكرته، ثم يستخدمها في التفكير والفهم وحل المشكلات، فكلما كانت العمليات العقلية نشطة ومنظمة، كان التعلم أعمق وأكثر استمرارية.

مثال: درس "قواعد اللغة العربية – أنواع الجمل"

في هذا الدرس، يشرح المعلم للطلبة الفرق بين **الجملة الاسمية** و**الجملة الفعلية** من خلال أمثلة وصور وأنشطة تطبيقية.

1. **الانتباه:** يركّز الطالب على شرح المعلم حين يكتب على السبورة: *الشمسُ مشرقةٌ* و *أشرقَتِ الشمسُ*.
2. **الإدراك:** يلاحظ أن الجملة الأولى تبدأ باسم فهي **جملة اسمية**، والثانية تبدأ بفعل فهي **جملة فعلية**.
3. **التذكر:** يسترجع الطالب ما تعلمه سابقًا عن **الفاعل والمبتدأ والخبر**، مما يساعده على فهم تركيب الجمل الجديدة.
4. **الفهم:** يدرك وظيفة كل عنصر في الجملة، فيعرف أن المبتدأ يُخبر عنه، وأن الفعل يدل على حدوث شيء في زمن معين.
5. **التفكير:** يقارن بين المعنيين في الجملتين ليستنتج الفرق في التركيب والدلالة، فيلاحظ أن الجملة الاسمية تركز على **الثبات**، بينما الفعلية تعبّر عن **الحدوث والتجدد**.
6. **حلّ المشكلات:** عندما يطلب منه المعلم تحويل الجملة "الطفلُ يلعبُ" إلى جملة اسمية، يتمكن من قول: *اللعبُ ممتعٌ للطفل*، مما يدل على قدرته على توظيف القاعدة في سياق جديد.

هذا المثال يوضح كيف يمر المتعلم بمراحل التفكير المعرفي من **الانتباه إلى التطبيق**، مما يجعل تعلم القواعد العربية عملية نشطة قائمة على الفهم والاكتشاف لا على الحفظ فقط.

ثانيا: الخصائص الفردية للمتعلم

1. ما المقصود بالخصائص الفردية؟

الخصائص الفردية هي **الصفات المميزة لكل متعلم** من حيث القدرات، والاستعدادات، والميول، والشخصية، والذكاء... إلخ، فكل متعلم يختلف عن غيره في طريقة الفهم، وسرعة التعلم، وطريقة التعبير، وهذا ما يجعل عملية التعليم **تحتاج إلى تنويع الطرق والأساليب** لتناسب الجميع.

2. أهم أنواع الخصائص الفردية:

أ/ الخصائص العقلية(Cognitive Characteristics) :

- تشمل الذكاء، والانتباه، والذاكرة، والقدرة على التفكير والفهم.
- مثال: بعض الطلبة يمتازون بسرعة الحفظ، وآخرون بالتفكير التحليلي والمنطقي.
- على المعلم أن ينوّع الأسئلة والأنشطة (أسئلة مباشرة للحفظ، وأخرى للتفكير العميق) لتناسب جميع المستويات.

ب/ الخصائص الوجدانية أو الانفعالية(Affective Characteristics) :

- تتعلق بالمشاعر والدوافع والاتجاهات نحو التعلم.
- مثال: طالب يحب مادة العلوم فيتعلمها بسهولة، بينما آخر يشعر بالخوف من الرياضيات فيحتاج إلى تشجيع ودعم.
- المعلم الجيد يخلق مناخًا عاطفيًا إيجابيًا يشجع المتعلمين ويعزز ثقتهم بأنفسهم.

ج/ الخصائص الجسدية(Physical Characteristics) :

- تشمل الحالة الصحية، والحواس، والطاقة الجسدية، والنمو الجسمي.
- مثال: طالب يعاني من ضعف البصر يحتاج إلى الجلوس في الصف الأمامي، وآخر مفعم بالطاقة يحتاج لأنشطة حركية داخل القسم.
- من الضروري مراعاة هذه الفروق حتى لا يشعر أحد الطلاب بالعجز أو الإهمال.

د/ الخصائص الاجتماعية(Social Characteristics) :

- تتعلق بعلاقات المتعلم مع الآخرين وسلوكاته في الجماعة.

- مثال: بعض الطلبة يميلون إلى العمل الجماعي والمشاركة، في حين يفضل آخرون العمل الفردي.
- يمكن للمعلم أن ينوع بين العمل الجماعي والفردي داخل القسم لتلبية احتياجات الجميع.

هـ/ الخصائص اللغوية(Linguistic Characteristics) :

- تختلف من متعلم لآخر حسب بيئته اللغوية وثروته المفرداتية وطريقة تعبيره.
- مثال: متعلم يستخدم لغة غنية وواضحة في التعبير، وآخر يجد صعوبة في صياغة الجمل.
- يجب تبسيط المفاهيم واستخدام لغة قريبة من مستوى المتعلمين.

و/ الخصائص التعليمية(Educational Characteristics) :

- ترتبط بالخبرات السابقة، ونمط التعلم، وسرعة اكتساب المهارات.
- مثال: طالب تعلم باستخدام الوسائل البصرية يفهم أكثر من خلال الصور، وآخر سمعي يفضل الشرح الصوتي.
- يمكن للمعلم أن يستخدم وسائل متعددة (صورة، صوت، نشاط عملي) لتحقيق تعلم فعال.

3. لماذا نهتم بالخصائص الفردية؟

لأنها تساعد في:

1. فهم اختلافات الطلبة وتقبّلها.
2. تصميم أنشطة تناسب مستويات متعددة.
3. تحقيق مبدأ **التعليم المراعي للفروق الفردية**.
4. تعزيز دافعية التعلم لدى الجميع.

مثال:

في درس اللغة العربية حول "أنواع الجمل":

- الطالب السمعي يستوعب الشرح عندما يسمع الأمثلة من المعلم.
- الطالب البصري يتعلم من خلال عرض الجمل على السبورة الملونة.
- الطالب الحركي يتعلم عندما يكوّن بنفسه جملًا باستخدام بطاقات ورقية.
- كلهم تعلموا نفس الدرس، لكن بطرق تناسب خصائصهم الفردية المختلفة.

الخاتمة:

إنّ دافعية التعلم تمثّل القلب النابض للعملية التعليمية، فهي التي تحرك المتعلم نحو التفاعل الإيجابي مع المعرفة والسعي إلى تحقيق الأهداف التعليمية، إذ ترتبط العمليات العقلية مثل الانتباه، والإدراك، والذاكرة، والتفكير، ارتباطًا وثيقًا بالتعلم الفعّال، لأنها تشكّل البنية الداخلية التي تُوجّه السلوك المعرفي للمتعلم، كما تؤثر الخصائص الفردية، كالذكاء، ونمط التفكير، والمهارات الشخصية، في مستوى التحصيل، وطريقة استيعاب المعلومات، واستراتيجيات حل المشكلات.

ومن ثمّ، فإنّ نجاح العملية التعليمية مرهون بمدى قدرة المعلم على تحفيز المتعلمين، ومراعاة الفروق الفردية بينهم، وتوظيف العمليات العقلية في المواقف التعليمية بشكل يثير الفضول والرغبة في التعلم، مما يجعل التعلم تجربة نشطة وهادفة تُنمّي قدرات المتعلم العقلية والوجدانية في آنٍ واحد.